القديس العظيم الأنبا شنوده
رئيس المتوحدين

حياة القديس الأنبا شنودة

✝ ميلاده ونشأته

ولد في شندويل في اقليم اخميم سنة ٣٣٣م. وكان أبوه مزارعا له قطيع عظيم عهد به إلى ابنه شنوده ، وكان الطفل منذ نعومة أظفاره محباً للفقراء والمساكين فكان يعطي طعامه للرعاة ويمضي أغلب وقته في الخلاء في الصلاة، ولما أكتشف والده ميوله المقدسة وأراد تنميتها أرسله عند خاله بيجول وكان رئيساً للدير الأبيض ، وقال له والده (شنوده) : « بارك هذا الصبي» لكن الأنبا بيجول أخذ يد الصبي ووضعها على رأسه قائلا : « أنا الذي يجب أن أنال البركة منه ».

نشأ شنودة نشأة صالحة وأرضع لبان القداسة منذ طفولته وتربى في أحضان الدير وكنيسته منذ كان يتردد على خاله ، فلما أرسله أبوه اليه أعتنى بتربيته تربية خاصة، ومن معاشرته للرهبان الأتقياء أخذ عنهم الكثير من الفضائل وفاقهم في الزهد، واستمر في دير خاله زمانا عاكفاً على الصوم والصلاة ودرس الكتاب المقدس حتى حفظ قسما كبيراً من العهدين القديم والجديد .

ولما تنيح خـــاله بيجول خلفه ابن اخته وكان ذلك سنة ٣٨٣ م.

رئاسة الأنبا شنودة الارشمندريت

ذكر Evetts فى كتابه كنائس وأديرة مصر سنة ١٨٩٥م ص ٢٣٧ أن ارشمندريت كلمة يونانية معناها رئيس الرؤساء (Superior of the Superiors) وذكر كتاب قصـــة الكنيسة القبطية ص٤٣٦ أنه كان لمجموعة أديرة الأنبا شنوده رئيس أعلى لقب منذ القرن الخامس بالارشمندريت ، وكان هو ووكيله مسئولين عن إدارة الدير الرئيسى والأديرة الفرعية التابعـــة له ، وكان له دير فرعى مشرف مسئول عن تنظيم الأعمال اليدوية فيه ، أما القيادة الروحية فكان الرئيس الأعلى مسئولا عنها بنفسه فى كل الأديرة التابعة له . ولكى يؤدى هذا الواجب العظيم كان يعقد أربعة اجتماعات سنوية يحضرها جميع الرهبان وكان المتوحدون يحضرونها أيضا .

اتسع نطاق الرهبنة فى عهده بعد أن تقلد رئاسة الرهبان بفضل سهره فى الرعاية ليل نهار جاداً لرفع شأن أديرته وتنظيم أمورها فى مختلف النواحى ، فبعد أن كان هناك عشرات من

الرهبان فى عهد خاله إذ بهذا العدد يقفز ويتكاثر حتى يصل إلى بضعة آلاف ، وفى المنطقة غربى سوهـــاج كان الديران الأبيض والأحمر (١). وكان الدير الابيض يضم ٢٢٠٠ راهباً والدير الاحمر ١٨٠٠ راهباً ويسمى الدير الابيض بدير الأنبا شنـــوده والدير الاحمـــر الذى يقع بجواره بدير الأنبا بيشوى عدا أديرة الراهبات .

وكان رهبان الدير الأبيض هم وحدهم المتعلمون بين طبقات الفلاحين ورجال الدين أنفسهم ، وكان بينهم الاطباء أيضا .

ولا يزال هذان الديران قائمين للآن يؤمهما خلق كثير فى عيد القديس الأنبا شنوده . واما المساحة التى يشغلهـــا كل من البنائين فهى عبارة عن مساحة كنيستى الديرين فقط .

وكان كل من يلتحق بالدير يأخذ على نفسه التعهد الآتى :

« أتعهـــد أمام الله فى هذا المكان المقدس ، وتشهد على

(١) الدير الأبيض إشارة الى أن مبانيه بالحجر الابيض والأحمر مبانيه من الطوب الاحمر .

الكلمات التى تخرج من فمى ، انى لن أدنس جسدى بأية وسيلة ولن أسرق ولن أشهد زوراً ولن أكذب ولن أباشر . بأى طريقة أعمال الغش فى الخفاء ... » .

وكان على كل طالب الرهبنة أن يقيم مدة من الزمان خارج أسوار الدير تحت الاختبار قبل أن يندمج فى صفوف الرهبان ويخضع لقوانين الرهبنة وبعدها يقبل فى الدير (١).

ولم يوجه أحد من المؤرخين عنايته إلى الدير الاحمر القريب من الدير الابيض والذى يبعد بمقدار ثلاثة كيلو مترات ، وقد ذكرت مجلة الكرمة (١٩٣١/٢/١) أنه رغم أهمية الديرين الابيض والاحمر فى الزمان الغابر فإنه لم يعتنى أحد منهما إلى الكرسى البطريركى ، كما أنه لم يرد ذكرهما كثيرا فى تاريخ

(١) فترة الاختبار ضرورية جداً قبل الاندماج فى سلك الرهبنة ، وحسب ماتقضى به قوانين الرهبنة القديمة كانت فترة الاختبار ثلاث سنوات (راجع أيضا كتاب قسمة الراهب) - غير أن المجمع المقدس المنعقد سنة ١٩٢٨م. خفض هذه المدة إلى سنة - ويجوز انقاصها إن ثبتت أهلية الطالب الرهبنة ورؤى ذلك بالنسبة لتاريخ الشخص الذى تقدم للرهبنة .

البطاركة كأديرة وادى النطرون وديرى أنطونيوس وبولا وغيرهما .

والدير الاحمر على اسم الأنبا بيشوى صاحب الدير الشهير باسمه فى وادى النطرون .

ومفتاحا الديرين الابيض والاحمر مصنوعان من البرونز ومحفوظان بالمتحف المصرى وطول المفتاح الاول ٤٤سم وعليه بالقبطية اسم الأنبا شنوده وطول الآخر ٣٥ سم .

وانتشرت فى الرقعة الواقعة بين هذين الديرين فى الزمن الغابر أديرة صغيرة عفت آثارها .

والدير الاحمر كالابيض مبنى على طراز واحد وفى عصر واحد ويشبهه فى كثير من آثاره .

قوانين الدير وانظمته

وضع القديس الأنبا شنوده قوانين كثيرة غاية فى الصرامة لرهبانه الذين كانوا كلهم من الأقباط - بخلاف الاديرة الباخومية التى كان يقصدها الجميع ، وقد جمع نظام أديرته بين الشركة داخل الدير والتوحد خارجه ، وكانت آداب الدير كلها دينية بحته .

وقد اهتم بأمور العبادة فنظم لرهبانه أوقات الصلاة الجماعية والصلوات الخاصة واهتم اهتماما بالغا بحضور القداسات وأدخل نظاما فريدا إذ كان يفتح أبواب الدير للشعب لنوال بركة القداسات ، مساء السبت الى الأحد ـ ثم يأمر الرهبان أن يعدوا موائد الغذاء للشعب قبل الإنصراف وكان يهدف أيضا الى أن يكون الدير مركز اشعاع وتعليم فيأخذ الشعب من نبع التعاليم الصحيحة وينتفع بنصائحه وعظاته الملتهبة حماسا وقوة ، وكان يلفت الشعب الى العادات الوثنية والجهالات التى كانت متفشية فى ذلك الزمان ، وتذكر عنه القصة التالية :

« بينما كان الأنبا شنوده ذات يوم جالسا مع قوم جاءوا لزيارته وإذا بغراب وقف على حائط بالقرب منهم وصاح فتطلع ياغراب ، ؟ فتنهد الأنبا شنوده وقال . يالجهالة التى تغلبت على بنى البشر ، من أين يعرف الغراب هذه البشارة .. لا تضع فى قلبك هذا الأمر فلا تنصت للطائر مرة أخرى ، إنه يصرخ الى الرب ليهيىء له طعامه . أما سمعت المرتل داود يقول : « المعطى البهائم طعامها والفراخ الغربان قوتا .. » لأن كثيرا من الناس

يتفاءلون بصوت الطيور والشمس والقمر والنجوم وهذه جميعا عبادة أوثان رديئة . . . .

لم تفت القديس ناحية التعليم كما سبق أن أشرنا فاهتم به أيما اهتمام وأنشأ مدرستين ملحقتين بالدير الابيض . كما اهتم بالعمل اليدوى أيضا ـ هذا الى جانب تدقيقه فى ممارسة الاصوام فى طهارة ونقاء . وقد كان هو نفسه خير قدوة ومثال فى حياة التقشف والزهد والنسك .

وخلاف الاديرة الفرعية التى كانت قرب الدير فقد كان فى أيامه نظام التوحد والعزلة فى المغائر للآباء المتقدمين بعد التصريح لهم بذلك ـ وهذا لم يكن يمنع من أن يحضروا الاجتماعات الاربعة المقررة سنويا والتى كان يرأسها رئيس المتوحدين الأنباشنوده .

لقد كان الأنبا شنوده منذ صباه محبا للعزلة وكان يختفى من وقت لآخر فى قلب الصحراء ، ولما كان رئيسا للمتوحدين كان يختفى كثيرا فى جهات نائية بعيدا عن أعين الناس ليستغرق فى الصلاة والتأمل وطلب المعونة والإرشاد من الله حيث لا يشغله شاغل ـ وحدث مرة أنه اعتزل خمس سنوات كاملة . وكانت

تلميذه المحبوب الانبا ويصا بصعوبة يستطيع أن يقطع عليه خلوته للتحدث اليه فى الامور الهامة — ولهذا فإن يلقب دائما برئيس المتوحدين .

لقد كان حزمه وحسن إدارته فضلا عن عظيم قداسته ومحبته من الاسباب التى جذبت الكثيرين إلى الرهبنة حتى كان عدد الرهبان بالالوف ، والا إذا كان قاسيا وصارما لأقصى الحدود كما يتوهم البعض فكيف نمت الرهبنة فى أيامه إذن وإزدهرت والتف حوله هؤلاء الالوف ؟! أنه على العكس كان مثالا للقائد الساهر المحب ، يعطف على مواطنيه ويستميت فى الدفاع عن المظلومين ، حيا تأكل الغيرة قلبه كما بنار ، — حزم مع محبة شديدة مع اخلاص ورفق — وتروى عنه القصة التالية :(١) .

« حدث أن أغارت أحدى القبائل على بعض قرى الصعيد فى منطقة اخميم فقتلوا ونهبوا وسلبوا ثم اقتادوا ما بقى من أهالى تلك القرى إلى الاسر ، وما أن سمع الانبا شنودة بما حدث حتى سارع الى مقابلة رؤساء تلك القبائل وقال لهم : احتفظوا بكل الاسلاب والغنائم وهبونى الاسرى ، فرافقتهم كلماته وسلموه

(١) عن كتاب قصة الكنيسة القبطية ص ٤٤٠ .

الناس الذين أسروهم فأخذهم فرحا واجتاز بهم النيل الى أن أوصلهم الى ديره الابيض حيث استضافهم ثلاثة شهور ووكل لكل جماعة من الرهبان عمل فحمل سبعة رهبان أطباء الجرحى من بين الجوع ووضعوهم فى المكان المخصص للمرضى فى الدير وسهروا على رعايتهم ، وفى الوقت عينه اهتم غيرهم من الرهبان بالشيوخ والاطفال .. » .

كان عنيفا فى مناقشاته فى الوقت الذى ينبغى أن تكون فيه الشدة . صارما فى دفاعه عن الحق وعن دقائق الإيمان المسيحى فى الاوقات التى ينبغى أن يرتفع فيها صوته كأسد ، فصيحا غيورا على الكنيسة — فى معرفة وحكمة — يهتدى برأيه الكثيرون فى المشاكل الكبرى ، التقوى دأبه والايمان يملأ قلبه .

ومن أجل هذا نرى أن القديس كيرلس الكبير البطريرك الاسكندرى (٤١٢ — ٤٣٥ م) الذى كانت تحت رئاسته مائة أسقفية (١) . لما أنطلق الى مجمع افسس سنة ٤٣١م لدحض بدعة نسطور اختار قديسنا العظيم أنبا شنوده للسفر معه .

(١) صفحة فى تاريخ القبط ص٢٩ .

تذكر المخطوطة القبطية ماترجمته (١)

« وحدث فى ذلك الزمان أن الملك ثيؤدوسيوس أرسل لى وأنا بدورى أرسلت إلى القديس أنبا شنوده رئيس المتوحدين وأبينا أنبا بقطر رئيس المتوحدين التابعين ، وهكذا انطلقنا لكى نقطع لسطور المنافق ، وكان معنا كثيرون من أساقفة مصر .

أما أنا وأنبا شنوده وبقطر التابعى فقد ركبنا سفينة واحدة معا قاصدين القسطنطينية ، وباقى الاساقفة ركبوا جميعا سفينة أخرى ، وبعد ما عبرنا البحر رسونا فى القسطنطينية . . . .

ثم يقول . . . « وانى والأنبا شنوده انتظرنا فى المدينة حتى يحضر باقى الاساقفة لنمضى الى افسس (٢) .

---

(١) لنشر الرسالة القبطية ، الكمسيس مالون فى كتابه (Grammaire Copte)

(٢) مجمع افسس الاول سنة ٤٣١ م . هو المجمع المسكونى الثالث اجتمع بأمر الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير وحضره ٢٠٠ أسقف برياسة كيرلس الكبير بسبب بدعة لسطور أسقف

وهكذا نستطيع أن نتبين بسهولة مركز الأنبا شنودة فى ذلك الزمان وغزارة علمه ومقدرته اللاهوتية ومواقفه الخطيرة الخالدة على مر الأزمان.

لم يكن للقديس رتبة كهنوتية وقيل أن لسطور المنافق احتج هو وأنصاره على السماح لراهب بالدخول فى مجمع الأساقفة

= القسطنطينية الذى أنكر لاهوت السيد المسيح وعلم بأن السيدة العذراء ليست والدة الإله بل والدة المسيح الإنسان ، فكتب إلى لسطور اعلان هذه صورته :

« من المجمع المقدس الملتئم فى أفسس برحمة الله تعالى وبموجب مراسيم ملكنا الجزيل العبادة الحسن الديانة الى لسطور هو ذا الثانى . أعلم أنه لأجل تعاليمك الاثيمة النفاقية وعصيانك على القوانين قد عزلت وقطعت من هذا المجمع بموجب قوانين الشرائع الكنسية وحكم عليك بالفرز من كل درجة وعدم تقلد اية وظيفة والإبتعاد عن كل خدمة كنسية » .

وحكم المجمع بحرم هذه البدعة كما وضع مقدمة قانون الإيمان وهى « نعظمك يا أم النور . . . » .

ثم سأل القديس قاصداً الاستهزاء به من أنت ؟ فأجاب الأنبا شنوده فى قوة ، ألا تعلم من انا ؟ ، أنا رجل أرسله الله ليزيح النقاب عن شرورك . ويطلب لك القصاص على خطاياك وغرورك ،، وحالما سمع تسطور هذه الكلمات خر على الأرض كمن أصابه صرع . وقيل أن البابا كيرلس فى تلك الآونة رقى الأنبا شنوده إلى الدرجة الكهنوتية التى تخول له الحضور فى مجمع الأساقفة (١) ، وبعد انتهاء المجمع عاد الأنبا شنوده إلى رهبانه.

وفضلا عن أنه حضر هذا المجمع وجاهد فيه جهاد الأبطال فإنه ظل يكافح فى أحرج الأوقات إلى يوم نياحته ؟ فلما انعقد مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩م. وكان فى حياته (٢) ، ورقد فى

(١) كتاب تاريخ الكنيسة لمنسى يوحنا ص ٣٢٦ .

(٢) هو المجمع المسكونى الرابع المنعقد سنة ٤٤٩م. بأمر الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير وحضره ١٥٠ أسقفاً برياسة ديسقورس بابا الاسكندرية ، وفيه تقرر قطع فلابيانوس أسقف القسطنطينية النسطورى المذهب .

الرب فى عام ٤٥١م. فى نفس السنة التى انعقد فيها مجمع خلقيدونية الذى لا تعترف به كنيستنا القبطية .

كانت حياته الطويلة سلسلة كفاح وجهاد وقوة فائقة فى الدفاع عن الحق ، له مواقفه القومية البحته، الأمر الذى لم يرق فى نظر البعض فتعمدوا أهمال الكتابة عنه ونشر مؤلفاته ، ويزعم بعض المؤرخين الأجانب (د. أوليرى) أن صرامته تعيبه إذ يقول :

(Such violence was his chief defect. His own writings show that he was guilty of violence in speech and act..).

له مؤلفات هامة لا يستطاع حصرها باللغة القبطية باللهجة الصعيدية وقد قام العلامة E. Amélineau بنشر بعض أقوال له كما نشر البعض الآخر علماء الآثار D. Crum و Zoega و Maspero ... الخ

نياحة القديس

قد وجد فى كتاب

Contribution à l'étude de la Littérature Arabe - Copte, M. Emile Galtier.

Extrait du Bulletin de l'Institut Francais D'Arhéologie Orientale, L. IV, 1905.

نصا لمخطوط يرجع تاريخه إلى ٢٥ أمشير ١٠٧٢ (١٣٥٦م) تتضمن نهاية حياته تنشرها بايجاز .

« بعد هذا طعن أبي في أيامه ولزم فراش موته في أول يوم من شهر أبيب.

فوافى اليه السيد المسيح بالليل .. فقال له أبي « يارب وإلهي أطلب اليك أن تقوين كي انطلق الى المجمع إذ أن البطريرك الطاهر أرسل يستدعيني لكي أقاوم الهراطقة الذين يحدفون على الثالوث المقدس .. أجابه السيد ياصفي شنوده أتريد عمراً آخر بعد هذا العمر الطويل . وذلك انك لبست الاسكيم الملائكي وأنت في تسع سنوات وانك أكثر من ١٠٠ سنة مذ صرت راهباً ، وتمام السابع من شهر أبيب هو يوم مقدس ، هلم إلى مكان الراحة لتتنيح إلى الأبد . .

ثم أن القديس اشتهى قليلا من بقل مسلوق فطبخته وقدمته له فقال لي ابقه فوق السطح حتى أقول لك ففعلت حسب قوله ، وفي ثالث يوم مرضه قال لي أمض أحضر البقل فأحضرته اليه وكان قد انتن ، فابتدأ يعنف نفسه قائلا يا نفسي كلي ما اشتهيته ولم يذقه ، فأخذته وطرحته ، وأخذ المرض يشتد على القديس حتى بلغ إلى سادس يوم من شهر أبيب فاستدعى أولاده وقال لهم: أنا استودعكم الله يا أولادي الأحباء هوذا مشيئة الله اقتضت أن أرحل من هذا المنزل ، اسمعوا من أبيكم ويصا لأنه هو الذي يكون لكم أب وراع .. وفي اليوم السابع من شهر أبيب ثقل المرض عليه جدا واسلم روحه الطاهرة في السادسة من النهار .

كنائس باسم القديس

توجد كنائس كثيرة باسمه في أغلب محافظات الوجه القبلي ، وكنيسة بالقباري بالاسكندرية كما توجد بمصر القديمة أقدم كنيسة بنيت على اسمه ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس ، ذكر تاريخ البطاركة عنها ان الاساقفة والإكليروس والشعب اجتمعوا

فيها سنة ٧٤٣ م. لاختيار البطريرك الجديد. جددت عمارتها مرارا عديدة احداها فى أيام البطريرك ٨٢ الأنبا نيامين الثانى (١٣٢٧ - ١٣٣٩م)، ومن حوالى ٤٠ عاما تقريباً قامت لجنة حفظ الآثار بإعادة الترميم.

أما عن عجائبه ومعجزاته حتى بعد نياحته فهى كثيرة وتعيد له الكنيسة فى اليوم السابع من أبيب. وتذكر اسمه فى مجمع القسبحة ويجمع القداس دائماً مع الانبا وبصلواتهما تكون معنا آمين.

مؤلفات القديس

الأنبا شنوده شخصية محبوبة جبارة جديرة بكل الإكرام، عملاق فى المعارف اللاهوتية، اختبر ضروب النسك داخل أديرته وخارجها فى شقوق الصحراء ومغائرها، هو ركن شامخ من أركان الرهبنة القبطية تذكره الكنيسة فى مجمع القسبحة وفى القداس ويقرن اسمه دائماً برئيس المتوحدين. كان القائد الأعلى للحركة الدينية فى الوجه القبلى فى القرنين الرابع والخامس ورغم

أنه عمراً طويلا (١١٨ سنة) ٣٣٣ - ٤٥١م، ورغم أن رئاسته دامت نحواً من ٦٦ عاما كلها جهاد، إلا أن الغرب لم يكتب عنه شيئاً.

والعجيب أن «بلاديوس» صاحب بستان الرهبان الذى كتب عن آباء وادى النطرون الكثير، ورغم زيارته منطقة أديرة القديس العظيم الأنبا شنوده - (زار بانابوليس أى اخميم، وهى تبعد عشرة أميال فقط عن الدير الأبيض) لم يكتب شيئاً عنه ولا عن أديرة الرجال التى كان يديرها ولا عن أديرة النساء التى كان بإحداها نحو ١٨٠٠ راهبة - فكأنه لم يقم قديس واحد من الآباء الرهبان الذين كانوا بالديرين الأبيض والأحمر وكانوا نحو ٤٠٠٠ راهباً عدا النساء.

ويبدو أن «بلاديوس» صاحب بستان الرهبان أغفل زيارته الأنبا شنوده ورهبانه أو الكتابة عنه، لأن الأنبا شنوده ما كان يسمح بأن يلتحق أحد من الأجانب بأديرته التى كان لها الطابع القبطى الصميم وكان كل الرهبان من الأقباط، وكانوا

متمسكين بلغتهم القبطية تمسكا شديداً ، كما أن النفور بين القبط والإغريق كان كبيراً لأسباب منها الفـــروى والثقافى والدينى والسياسى .

وكان الأنبا شنوده من العاملين على تهذيب اللغة وآدابها من التأثيرات البيزانطية . لقد كان القائد لحركة تحرير الكنيسة القبطية وعدم تأثرها من الناحية الدينية بالقسطنطينية . وبينما كانت أديرة الأنبا باخوميوس فيها البيزانطى واللاتينى والفلسطينى إلا أن أديرة الأنبا شنوده لم يقبل فيها غير الأقباط فقط ، وكان يعطف على مواطنيه ويقاسمهم آلامهم وضيقاتهم .

ونضيف إلى ذلك صرامة القديس الأنبا شنوده ونظامه الفريد الذى كان طابعه الحزم وعدم المهادنة ، والمرجح أن بلاديوس لم تحذبه عبادته وقوانينه .

وكان من بين قوانين الدير ما يحرم نقلها إلى الخارج حتى إلى الأديرة القريبة كما يتبين ذلك من القصة التالية :

عثر وثيقة فى كنيسة نقاده (بمحافظة قنا) تحتوى على سيرة

أبا أفرآم ، وردت فى سنكسار ٢٤ طوبة أنه كان قد مضى إلى دير أنبا شنوده وأقام به وبدأ ينقل قوانين القديس ويكتبها فى أوراق إلى أن أكملها وجعلها طروداً وختمها وأرسلها إلى دير القديس مؤسيس (موسى) وبعث برسالة إلى الدير على أنها حبوب . وحدث ذلك بعد ذلك أن نفذت البقول بالدير ولم يجدوا حبوباً ففتحوا الطرود ووجدوا القوانين التى وضعها الأنبا شنوده لأن الرهبان الذين كانوا فى دير الأنبا شنوده ما كانوا ليكتبوا أحدا من نقلها .. وكان ذلك فى أيام (يوستيانوس الملك فى القرن السادس (١)).

ويضيف « د . أوليرى » فى كتابه « قديسو مصـــر » أن بلاديوس كان يونانياً وكان يميل الى الرهبان الذين يجيدون اليونانية .

كل هذه الأمور مجتمعة وغيرها مما لا نستطيع الجزم به

(١) عن مقدمة الجزء الأول من كتاب :

Œuvres de Shenoudi ××١٧ ص

جعلت بلاديوس لايتعرض للكلام عن هذه الأديرة ولا عن مؤسسها ورهبانه .

ونلاحظ أنه لم تظهر سيرة واحدة من سير آلاف الرهبان الذين كانوا تحت إدارته، إذ اندثرت أخبارهم، كما أنه لايعرف إذا كان أحدهم إعتلى كراسى الأسقفية . والمعتقد أن الرجوع إلى مخطوطات مجموعة « Morgan » بالقبطية الصعيدية المحفوظة بالمتحف القبطى قد يكشف التام عن الغموض الذى يحيط بأديرة الأنبا شنوده ومؤسسها ورهبانه .

ولا تعترف الكنيسة الكاثوليكية بالقديس الأنبا شنوده رغم أن القديس كيرلس الكبير عامود الدين كان يصف دائماً الأنبا شنوده بالقديس النبى (١)، بينما تعترف الكنيسة الكاثوليكية بالقديس كيرلس .

(١) سننشر بالقبطية فيما بعد جزءاً من رسالة القديس كيرلس الكبير فى هذا الشأن .

نشرت مجلدات ضخمة كثيرة عن آباء وادى النطرون بكل اللغات وأصبح لدينا من المؤلفات معين لاينضب ، بينما أهملت كتابات قديسنا الأنبا شنودة ولم تجمع آثاره وهو العملاق الذى عرف فى تاريخ الأدب القبطى وكان أعظم كتابه .

فى كتاباته الكثير من الصور الرائعة التى تضفى على كلامه قوة وتأثيراً يستمد من روحه القارىء ويقبس من أدبه الغزير وخطبه ورسائله ووصاياه وكان أكبر الخطباء فى عصره .

رسم طريقة الرهبنة فى ديره وعلاقته بحكام عصره وعالج شئون الدير وحقه على الرهبان ودعاهم إلى التقوى وحفظ الوصايا وبذل الخير عن فطرة سليمة ونية صافية فى غير غش فى السر والعلانية كما سنبين ذلك فى التعهد الذى كان يأخذه على من يلتحق بالدير . وقد عمر طويلا إذ عاش ١١٨ سنة ولاتزال مؤلفاته بالقبطية الصعيدية فقط لم يهتم أحد من الغرب أو من الشرق بفحصها وترجمتها وإظهارها .

ويقول الأستاذ العالمى الدكتور عزيز سوريال عطيه فى ذلك:

« إن مركز أديرة أبا شنوده على جانب عظيم من الأهمية والخطورة فى تاريخ الديرية والقومية المصرية على السواء. ولا زال مع الأسف هناك قصور فى البحث والتنقيب فى مختلف نواحيه ومعلوماتنا إذا قيست بالجامعات الباحوثية سطحية وتافهة.. والمستقبل وحده كفيل بجلاء الغموض الذى تنطوى عليه قوانين الأبا شنوده وعلاقاته الدقيقة مع من عاصره من الحكام »(١).

كان القديس العظيم الأبا شنوده كثير الانتاج، بليغاً فى خطبه عنيفاً فى عظاته وترك مجموعات وافرة من التفاسير والعظات والميامر وكلها وسمت جوانب متعددة من الثقافة والتوجيه الدينى والإرشادات التاريخية والحكمة.

وإذا تركنا القديس « بلاديوس » جانباً نجد أن باقى المؤرخين الأجانب أهملوا أيضا ذكر القديس شنوده وأديرته ورهبانه، وعلى سبيل المثال أيضاً نذكر القديس جون كاسيان الذى زار مصر مع صديقه جرمانوس حوالى سنة ٣٩٠م ومنها

(١) عن كتاب الرهبنة القبطية سنة ١٩٤٨.

إلى القدس ثم عاد إلى مصر فى سنة ٣٩٩ م، حيث وضع مجلدين باللاتينية عن آباء البرية، فى هذه المدة كان القديس الأنبا شنوده رئيساً للأديرة (٣٨٣ - ٤٥١م).

أيضا القديس جيروم وكان من أكثر المعجبين بالحياة النسكية المصرية، فى حوالى سنة ٣٨٦م زار أديرة شهيت وكتب الكثير عنها.

ويقول « د. أوليرى » فى كتابه « قديسو مصر » إن الكتاب الغربية لا تعترف بالقديس شنوده وظل هكذا منسياً حتى جاء « Zoega » فى القرن التاسع عشر فكتب عنه بالخارج.

لكننا نقول إذا كان الأجانب لم يهتموا بالكتابة عن القديس فما موقف الكنيسة القبطية فى القرون المختلفة ولماذا لم تترجم بعض المؤلفات إلى العربية؟.

الكثير من كتابات الآباء نقلت الى العربية.

إن القديس اطوريوس كتب رسائله وتعاليمه باللغة القبطية الصعيدية - يؤيد ذلك العبارة الآتية الواردة بمخطوط رقم ٨٨

طقس بالمتحف القبطى بآخر هذه الرسائل: إن الرسائل والتعاليم التى للقديس أنطونيوس ، ترجمت من اللسان الصعيدى إلى اللسان العربى فى آخر سنة ٩٨٦ ش (١٢٧٠م) بديره المعروف ببرية العربة (١)، ومن هذا القرن بدأت الترجمة للعربية .

فى القرن التاسع بدأ اضمحلال القبطية ، وفى القرن الثالث عشر كانت اللغة السائدة هى العربية ، ومع إنتشار العربية فإن القبطية كانت لاتزال فى الوجه القبلى فقد ذكر المقريزى فى القرن الخامس عشر ، والاغلب على نصارى ، هذه الأديرة معرفة القبطى الصعيدى وهو أصل اللغة القبطية وبعدها اللغة القبطية البحيرية ، ونساء نصارى الصعيد وأولادهم لايكادون يتكلمون إلا بالقبطية الصعيدية ولهم معرفة تامة باللغة الرومية، وذكر Maspero فى محاضرة له فى سنة ١٩٠٨ .

« لكن من المؤكد أن سكان صعيد مصر كانوا يتكلمون ويكتبون القبطية حتى السنين الأولى من القرن السادس عشر

(١) صفحة من تاريخ القبط ص ٤٧ .

فقد كانوا يجيدون القبطية والعربية وإذا كان هذا شأن عامة الناس بالصعيد فكم كان شأن الأديرة، كان كل دير يحتفظ بكل ما يكتب فيه ولكل دير مكتبته وكانت الأديرة مراكز ثقافية ـ على ممر العصور ـ وكان الرهبان يعنون بشئون النسخ والتأليف والترجمة .

لماذا لم تقم الكنيسة القبطية سواء الرهبان أو غيرهم فى أى قرن من القرون بترجمة القليل من كنوز أديرة الانبا شنوده المكتوبة باللسان الصعيدى ، وقد ظلت القبطية الصعيدية معروفة الى بضعة قرون كما رأيت ؟ .

لاشك أن هذه ناحية من نواحى الغموض التى أشار اليها الدكتور عزيز سوريال عطيه .

بذل الانبا شنوده مجهوداً كبيراً فى محاربة الوثنية وإقتلاع جذور خرافاتها فى الكنيسة مثل السحر والتعاويذ والدجل العلمى والبدع الاجتماعية المختلفة ـ وجاءت خطبه مرآة صادقة لحياته وتصور لنا عظته عن الموالد التى سيأتى تدوينها أصدق تصوير .

جاهد زمناً طويلا فى أحرج الاوقات وأخطرها ، انعقدت المجامع فى حياته فى أعوام ٤٣١م. اصطحبه القديس كيرلس الكبير للدفاع عن الإيمان ، وكان معجباً بفصاحته وبلاغته وقوة حجته وإلمامه فضلا عن قداسته وكان يلقبه دائماً بالقديس النبي ورقد فى الرب فى سنة ٤٥١م (٧ أبيب) فى نفس العام الذى انعقد فيه مجمع خلقيدونية ، وخلفه فى الدير الأبيض تليذه الأنبا ويصا وقد تنيح بعد سنة ٤٥٧م .

✝

البعثات الأجنبية والأثرية

فى مصر ونصيب مؤلفات القديس

توالت البعثات من كافة بلاد أوربا منذ القرن السابع عشر (١) إلى كافة الأديرة وأخذوا كل مايمكن أخذه إلى بلادهم ، عدا أديرة الأنبا شنوده فلم يحفل بزيارتها إلا القليل. فى سنة ١٦٣٠م زار « بيرسك » أحد هواة الكتب بباريس

(١) من هذا القرن فقط نقلت إلى الخارج أغلب المخطوطات المهمة وكانت تعد بالآلاف. ومعروف أيضا أنه ←

وادى النطرون ونقل عددا كبيرا من مخطوطات دير السريان، ثم « هانتنجتن » الذى نقل بعض المخطوطات الهامة من دير أبى مقار مابين ١٦٨٢/١٦٨٣ م ، ثم الياس السمعانى أمين مكتبة الفاتيكان فى ١٧٠٧ م . وابن عمه يوسف السمعانى سنة ١٧١٥ م . الذى ذكر أنه حصل على مخطوطات على أعظم جانب من الأهمية من أديرة وادى النطرون، ثم « أندريوسى » فى سنة ١٧٩٩ م، و « دروفتى » فى سنة ١٨١٨ م «وكرزون» فى سنة ١٨٣٧م، « وقسطنطين تيشندروف » ، و « شستر » الذى زار الاديرة الشرقية والغربية سنة ١٨٧٣ م . أخيراً ايفلين هوايت سنة ١٩٢٠ م. الذى وضع ثلاثة مجلدات ضخمة عن رهبان واديرة وادى النطرون ، تعتبر من المراجع الهامة جدا لايستغنى عنها كل باحث .

← من هذا القرن فقط بدأت دراسة اللغة القبطية فى أوربا، ويقرر « Mallon » فى مقدمة كتابه « الاجرومية القبطية » ويقول : (L'étude de la Langue Copte en Europe date du 17. Siècle ..

توالت زيارة علمـــاء الآثار الاجانب هؤلاء وغيرهم إلى الاديرة الشرقية والغربية وحصلوا على الكثير من المخطوطات وتزينت بها مكتبات ومتاحف أوربا الشهيرة ، ونشر هؤلاء العلماء الكثير من الكتب عن وادى النطرون ورهبانه باللغات المختلفة، عدا اديرة الأنبا شنوده ورئيسها ورهبانه. ومؤلفاتهم لم يذكر لنا أحد عنها شيئاً الا القليلين من الاجانب أمثـــال م. ماسبرو وزويجا ، والثانى من أعاظم علماء الآثار العالميين ومن أكبر العلماء فى اللغة القبطية (١)، وهذان لم نعثر لهما على مؤلفات لأنها محفوظة بمتاحف أوروبا .

عثرنا بمكتبة الجمعية الأثرية بالقاهرة على مؤلف فريد للعلامة « E. Amélineau » ، وهو كتاب « Œuvres de Shenoudi » من خمسة مجلدات مقيدة بالمكتبة من رقم ٥٢٥ - ٥٢٩ آثار ، أكثر من نصفها مقدمات علمية مطولة والباقى مقتطفات من

(١) مخطوطات الثانى محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس وناپولى، وبالمتحف القبطى بمجموعة Morgan السابق الإشارة اليها .

متفرقات لأقـــوال القديس الأنبا شنودة بالقبطية الصعيدية مع ترجمة لها بالفرنسية وهذه الأقوال غير مترابطة مع بعضها البعض للأسباب التى أوضحها المؤلف والتى سنعرض لها فيما بعد.

وأطلعنا على مانشر فى كتاب :

Scriptores Coptici, Series Secunda — Tomus 5, Sinuthi, Opera IV.

وما نشر فى مجـــلة (Le Museon XLV 1932)

وفى كتاب Chassinat Emile.

Le quatrième Livre des Entretieus et epitres de Shenoudi.

(المعهد الفرنسى للآثار الشرقية سنة ١٩١١).

وفيما يلى مختصراً مترجم عن المؤلف « E. Amelineau » بما ذكره فى كتابه السالف الذكر « Œuvres de Shenoudi » عن مخطوطات قديسنا العظيم الأنبا شنوده لنتبين كيف أن طريق استخراج عظات هذا الآب شاق طويل كما ذكر استاذى العلامة المنيح يسى عبد المسيح أمين مكتبة المتحف .

يقول « اميلينو » ما ترجمته :

« .. فى يناير سنة ١٨٨٥م . فى رحلة للأديرة القبطية كانت لدى فرصة طيبة لاكتشاف أهمية مكتبة الدير الأبيض أو دير شنوده .. كنت الأول الذى عثر على بعض المخطوطات لكنى لم أقطع فى أن اجمعها كلها لتكون تحت يدى ، ولما تركت الدير الأبيض جاءنى بعض أوراق .

فى نوفمبر من نفس السنة علمت أن كمية كبيرة من هذه المخطوطات فى حيازة « M. Maspero » لحساب المكتبة الأهلية بباريس ، وفى يناير سنة ١٨٨٦م. علمت أن بعض الأوراق الهامة معروضة للبيع عند أحد تجار الآثار بالقاهرة ـ كتبت للفور لمسيو M. Guimet الذى رخص لى بشرائها ومدنى بالمال اللازم .

لما عدت لباريس باتفاق مع M. Guimet ضممت المخطوطات التى وجدت بالدير الأبيض والمشتراه بمصر الى ماهو موجود بالمكتبة الأهلية ومتحف اللوفر .

كانت المخطوطات التى وجدت بالدير الأبيض على جانب كبير من سوء الترتيب وفى حالة سيئة ، الأوراق متناثرة من بعضها البعض وعن مجموعاتها . وعدد كبير منها فضلا عن ذلك كان ممزقا الى أجزاء صغيرة .. وباختصار كانت فى حالة كبيرة من التلف .

وكانت تتضمن ثلاثة أقسام :

(١) قسم خاص بالأسفار المقدسة وقد اهتم به M. Maspero وبه بعض مذكرات العهد القديم .

(٢) قسم التأليف وقد نشر Bouriant أعمال بمجمع أفسس فى الجزء الثامن من مذكرات البعثة الأثرية الفرنسية .

(٣) « التاريخ والخطب ... ».

وإن أمناء المكتبة الأهلية بباريس أقروا أنه من الصعب الاستفادة من هذه المخطوطات بوصفها الحالى من سوء الترتيب وقد كلفت بهذا العمل فابتدأت بنسخ المخطوطات كلها .. وكان من اللازم نشر كل ماهو مفيد ، سواء فى هذه المكتبة أو فى

ابتدأت فى دراستى ـ المخطوطات المحفوظة فى المكتبة الأهلية بنابولى، مخطوطات باريس، والمجموعة الخاصة الموجودة بمكتبة Lord Crawford و Balcarres و Zouche .

وكان من اللازم أيضا لمعرفة تاريخ دير الأنبا شنوده أن نربط المكتابات بعضها ببعض الخاصة بهذا القديس الشهير مع خلفه ـ هذا ليس كل شىء فقد كان بين المعلم والتلميذ اختلاف كبير فى الطباع فبينما كان الأول عنيفاً وقويا كان الثانى سهلا وسالما ـ وان وجدنا تلميذه يعطينا معلومات عن رهبان الدير الابيض وعن دير النساء أيضا والدير الاحمر ..

ولقد قامت أمامنا صعوبات كثيرة منهـــا ما ظهر بالنسبة للعادات العامة للرهبان التى نجهلها سواء بالنسبة للحياة الديرية التى لانعرف عنها تفصيلات كثيرة أو بالنسبة لغيرها لكى نعبر التعبير الصحيح عن كل مافى هذه الاوراق .

والذى أرجوه أن الذين يأتون بعدى لاينسون انى كنت أول من سلك هذا الطريق . فإنه عندما يمر الإنسان فى غابة

ويكون أول المارين لابد أن يترك آثارا تنفع من يسيرون خلفه يتتبعون خطواته . واستطيع أن اصرح ان المجهود الذى بذلته للآن فى نشر مانشرته من مخطوطات يعتبر كلعب الاطفال إذا قورن بالمصاعب التى ظهرت فى مؤلفات أبا شنوده ، فهذه المخطوطات مليئة بالاخطاء والحذف وبما أخطأ فيه النساخ سواء أكان ذلك نتيجة للسرعة أو التعب أو السهو .. فضلا عن عمق أسلوب المؤلف فى تفكيره الذى يشتد بشدة المواقف المختلفة ويعالج نواحى السلوك فى الحياة .

وخلاف هذه المخطوطات مخطوطات أخـــرى فى مكتبة Naples والبعض بمكتبة Venise وهذه من أصعب المخطوطات .

إن مؤلفات الانبا شنوده يمكن تقسيمها إلى أقسام، مايخص أديرة الرهبان ومايخص أديرة الراهبات ، وماهو موجه إلى الرؤساء ، وما يدور حول تواريخ بعض الشخصيات ، خطب موجهة ضد الوثنيين بإخيم ومقالات بشأن الحكام المختلفين الذين

مروا فى مدينة Antinoé (١) . وغيرهما . لكن نظراً لعدم الترتيب يتعذر معرفة أى خطاب تحرر لهذه الجماعة أو تلك، وأى هو الخطاب الثانى أو الخطاب الثالث وما أشبه .

وفى الواقع ان اسم « Zoega » سيظل ظاهراً بمخطوطات الانبا شنوده لانه قام بعمله بذكاء ومهارة غارقة ، وهذا العالم الكبير يعد بحق أكبر عالم فى الآثار القبطية الى وقتنا الحالى . . ساعدت مؤلفاته كثيرا ممن نهجوا نهجه وتتبعوا خطواته ، ويستحق أن يتخذ مرشداً من كل الوجوه .

ولانقصد بهذا أن كل كتابات الانبا شنوده تتميز بالصعوبة لاننا نجد له مقالات كثيرة فى أسلوب سلس يتميز بدقة اختيار الالفاظ ، كلمات مألوفة بليغة فيها القوة فى الأداء وعبارات جزلة تنساب من فمه لرهبانه ، لكن صوته فى هذا كان كصيحة الاسد عندما يزأر أحيانا ثم يداعب أطفاله . .

(١) تقع مكانها قرية الشيخ عباده على ضفة النيل الشرقية ، كان بها كثير من أديرة الرهبان والراهبات .

. وإن المخطوطات التى قمت بنشرها تختص بالاعمال الرهبانية ويمكن تمييزها لان أسلوب الانبا شنوده الشديد يختلف عن أسلوب أبيا ويصا الرقيق .

. . وما قامت به البعثات الفرنسيسكانية فى القرن الثامن عشر وما اكتشفته من مخطوطات فى أوائل القرن التاسع عشر إنما جاءوا بها من مصر لتوضع فى أكبر مجموعات الآثار الاجنبية . . والمرجح أن كل مخطوطات Venise, Naples Paris, أخذت من الدير الابيض أو الاديرة قرب أسيوط .

وإلى وقتنا الحاضر ما خلا بعض قراءات من الاسبوح المقدس لاتوجد أية ترجمة باللهجة البحيرية لمؤلفات الانبا شنوده واعتقد أنه لا يمكن أن نجدها .

قد حاولت فى رحلاتى الكثيرة للأديرة القبطية أن أتعرف عما إذا كان أحد لديه شىء فلم انتفع شيئا ، لكنى رأيت ترجمة عربية لحياة الانبا شنوده فى دير المحرق حيث توجد مؤلفات كثيرة بالقبطية والعربية ، وهذا المؤلف عبارة عن سيرته لكن ليس مؤلفاته .

كان لى رجاء. رغم ذلك أن أجد ترجمة عربية لهذه المؤلفات فى أية مكتبة لاى دير لكن رغم كل الجهود لا فى المحرق ولا فى نقادة أو غيرهما (حيث يوجد عدد كبير من المؤلفات مترجمة الى العربية) أمكن العثور على شىء .

لقد أخبرت أنه لم يعد لدى الرهبان شىء وكنت على علاقة طيبة معهم فتمكنت من البحث فى المكتبة وفى خزائن الكتب وفى الصناديق التى كانت بعض الكتب مخبأة فيها . .

وإذ اتكلم عن الاديرة قرب أسيوط لا أقصد المحـرق ولا منفلوط التابع للمحرق ولكنى أقصـد بالاكثر الاديرة الكائنة بجبل أسيوط حيث كانت توجد مراكز للموحدين وكانت قائمة بين شنوده ويوحنا الاسيوطى .

ومن المحتمل أن بعض مخطوطات نابولى قد جىء بها من قبل أسيوط أو شمالى الدير الابيض وهذا الدير هو الوحيد الذى أمكن البحث فيه عن مؤلفات الانبا شنوده، وفيـه وجدت مخطوطات خاصة بالخدمات الكنسية ، حياة القديسين ومن

بينها سـيرة الانبا شنوده وسير رهبانية ، وفى مكتبة دير أنبا ايلياس (١) وجدت أربعة مجلدات لاعمال الانبا شنوده وهذه نشرها Bouriant فى مجموعة Maspero .

إن الكثير من كتابات الانبا شنوده رهبانية والموضوعات التى عالجها قبل كل شىء خاصة بالرهبان .

كان على الرهبان أن يحفظوا عن ظهر قلب قسما من الكتاب المقدس فالقديس Pisentios حفظ المزامـير عن ظهر قلب كما يذكر فى سيرته ، والانبا شنوده كان يحفظ عن ظهر قلب جزءاً كبيرا من العهدين القديم والجديد ، ولذلك كان يقتبس كثيراً من محفوظاته .

هذا وتوجد الآن بالمتحف القبطى مجموعة هامـة من المجلدات هى مجموعة Pierpont Morgan بالقبطية الصعيدية بها الكثير عن انبا شنوده ورهبانه .